

مقالة في التطرق بالطب إلى السعادة لعلي بن رضوان

تحقيق

سیدان قطايبه

نقدم ولأول مرة النص الكامل لمخطوطة « مقالة في التطرق بالطب الى السعادة »
لعلي بن رضوان . وهو النص الوحيد المحفوظ حتى اليوم في مكتبة حكيم علي أوغلو
باشا تحت الرقم ٦٩١ (٣) - ف ٨٩٤ .

ولقد تفضل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مشكوراً ، فأمدتنا بصورة عنها .
والمقالة هذه على قصرها تتمتع ببعض الأهمية .

فهي : أولاً تساعدنا على تحديد زمن ولادة علي بن رضوان ، وبالتالي عمره ، فالمعلوم
أن تحديد سنة ولادة العلماء القدامى عسير عادة .

وقد ورد في كتاب « عيون الانباء » لابن أبي أصيبعة (١) عن ابن رضوان نُبذ
من سيرته الذاتية يقول فيها « . . . وكان يفضل علي الى وقفي هذا ، وهو آخر السنة
التاسعة والخمسين . » ويقصد التاسعة والخمسين من عمره .

كما ذكر ماكس مايرهوف (٢) ، خلال سرده القائمة الكاملة لمؤلفات ابن رضوان .
أن ثمة ثلاثة مؤلفات ربما كانت كلها واحدة أو متشابهة وهي :

« كلية الطب - جامعة حلب .

١ - ابن أبي أصيبعة - عيون الانباء في طبقات الأطباء - طبعة بيروت - ١٩٦٥ . ص : ٥٦١ .

2 - M. Meyerhof, *The Medico-Philosophical Controversy between Ibn Butlan of Baghdad and Ibn Ridwan of Cairo*, Egyptian University - Faculty of Arts Publication No. 13, (Cairo 1937) pp. 41 - 49.

- سيرته المذكورة في كتاب عيون الانبياء .
- ومقالة في التطرق بالطب الى السعادة .
- ومقالة في سبيل السعادة ، وهي السيرة التي اختارها لنفسه .

فاذا عدنا الى مقالة في التطرق ، رأينا ابن رضوان يقول « . . . وجدنا تاريخ الاسكندر الى وقتنا هذا هو سنة ست وثلاثين واربع مائة للهجرة . . . » .

فاذا اعتبرنا هذا التاريخ (اي عام ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) هو العام الذي بلغ فيه ابن رضوان سن الستين . استطعنا القول أنه ولد عام ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م ، وتوفي عام ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م (حسب ابن ابي اصيبعة) أو ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م (حسب القفطي) ، وأنه عاش بين الخمس وسبعين عاماً والواحد والثمانين .

ونجد في المقالة نفسها معلومات تلقي بعض الضوء على مفهوم ابن رضوان عن التعليم الطبي الذي اهتم به كثيراً وذكره في معظم مؤلفاته . بل كرّس له كتاباً بعنوان « النافع في كيفية تعليم صناعة الطب » (٣) .

ولا بد أن منشأ هذا الاهتمام هو ممارسته للتعليم والتدريس في بيمارستانات مصر . والمعلوم أن ابن رضوان اشتهر بقوله بأنه يمكن تعلّم الطب بدون استاذ (كما فعل هو نفسه اذ لم يُعرف له شيخاً تتلمذ على يديه) ، وانه انتقد كثيراً بسبب ذلك (٤) .

ففي كتاب « النافع » يدعي بأن التعلّم عن الكتب لوحدها ممكن انما ضمن شروط خاصة فيقول « وهذه الطريق يقوم لمن لا يجد معلماً جيداً مقام المعلم الجيد » كذلك فهو ليس بمقدور الا « ذوي القرائح الجيدة والطبائع الفائقة » .

وفي مقالة « التطرق » يعود فيؤكد هذه الفكرة فيقول « وليس يخلو المتعلم لها (أي صناعة الطب) من أمرين :

- ٣ - توجد نسختان : واحدة في دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم : طب ٤٨٣ . والثانية في مكتبة تيسير بيبي في دبلن (رقم : ٤٠٢٦) .
- ٤ - ابن ابي اصيبعة - العيون - بيروت - ١٩٦٥ ص : ٥٦٣ - ٥٦٣ .

١ - اما أن يجد معلما فاضلا يفهم منه ما في كتب ابقراط فيسرع بذلك تعلمه كما أسرع تعليم جالينوس .

٢ - واما أن يُعَدِّم المعلم الحاذق فيحتاج أن يتعلم لنفسه من كتب جالينوس فيطول زمان تعليمه .

ثم يشير الى أن القسم العملي من الطب لا يتم تعليمه الا : « بمعينة هذه الاعمال بين يدي أفضل من تعلم عليه من اهلها » .

وهنا تبدو لنا أهمية مقالة « التطرق » لانها تقدم تفاصيل جديدة غير معروفة عنه ، وتجعل فكرته عن التعليم الطبي مقبولة الى حد ما . رغم اعتقادنا الجازم بأنه لا بد من معلم لكل من قسمي الطب : النظري والعملي .

ثم يكرس ابن رضوان الباب الثالث من المقالة لموضوع عنوان المقالة ، فيشرح مفهومه الفلسفي عن مهنة الطب .

وهو مفهوم مثالي مطلق فيقول « قال جالينوس في آخر المقالة الاولى من حيلة البرء : ويتبغي لنا أن ننافس ونباهي الملائكة في فعل الخير » .

والفكرة هذه مشروحة بشكل مفصل في كتابه « في شرف الطب » . وهو مفهوم ديني مرتكز على أن الطب هو فعل الخير وواسطة لارضاء الله والفوز بالجنان ، ويعترف انه رغم ذلك فان الطب في ايامه (كما في كل زمان وعصر) لم يكن يخلو من الدجل والشعوذة .

ويبدو لنا أنه من الضروري التمييز بين من يختار مهنة الطب عن ايمان ديني عميق لا يريد منه سوى كسب مرضاة الله وهم الندرة . والغالبية التي لا ترى في الطب الا وسيلة لكسب المال والحياة الرغيدة . وهذا ما لم يره ابن رضوان ، أو آراه ولم يعترف به .

وينتقل ابن رضوان في مقالة « التطرق » الى تاريخ الطب قبل الاسلام . ونراه

لا يقدر أو يحترم الا ابقراط وجالينوس^(٥) . وخاصة هذا الاخير . اذ يعتبر كتبه فوق كل نقد ، أو شك ، بل ينتقد بقسوة كل من يتعرض لنقده (كالرازي مثلا) .
وتلك نقطة ضعف في مؤلفاته ، لأن الفكر العلمي يبحث دوما عن الحقيقة :
وهو في سبيل ذلك لا يتوانى عن مناقشة كل رأي بفكر علمي موضوعي .

٥ - طرح ابن رضوان ستة كتب لجالينوس هي . كتاب الصناعة الصغيرة - كتاب الاسطوانات - كتاب النفس الصغير - بعض كتاب المزاج - كتاب جالينوس الى الخلقين - في التأني لشفاء الامراض - (ابن ابي اصيبعة - العيون - ص : ٥٦٦) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقالة علي بن رضوان في التطرق بالطب الى السعادة وهي ثلاثة ابواب :

- الباب الاول - في كتب ابقراط .
- الباب الثاني - في تعريف ابقراط .
- الباب الثالث - في التطرق بالطب الى السعادة .

الباب الاول

في كتب ابقراط

قال علي بن رضوان : قد بينّا في كتبنا (٦) ان ابقراط استكمل تعليم صناعة الطب وان جالينوس هذب تعليم ابقراط ، فصيّر صناعة الطب ميسّرة سهلة التناول على من زاوّلها من ذوي الطبائع الفايقة ، واما غير هاؤلاي فقد نهى ابقراط وجالينوس معاً عن تعليم هاؤلاي متى انتحلوها فهم فيها اطباء بالاسم لا اطباء بالفعل ، لتقصير طبائعهم عن ادراكها . ولذلك هم السبب في ذمّها . واوضحنا انه ينبغي ان يكون المتعلم لها طبيعة مواتية ، وذهن ذكي ، وحفظ جيد ، وحرص شديد ، واحتمال للتعب ، وحب للجميل .

وان يكون قبل تعلمها قد تادّب بالآداب والتعاليم فقد ذكر جالينوس (٧) في مقالته في ترتيب قراءة كتبه : انه شرع في تعليم الطب بعد رياضة في التعاليم والآداب ، وقد بلغ في السن السنة السابعة عشر .

٦ - ربما كان يقصد كتاب : " النافع في كيفية تعليم صناعة الطب " بشكل خاص . وهو مخطوط غير مطبوع .

٧ - Galien ولد حوالي عام ١٣٠ م في برغاس في ميسيا وتوفي حوالي سنة ٢٠٠ م ويديعي البعض انه توفي عام ٢١٨ م . وهو من اكبر اطباء اليونان . وكتبه السنة عشر اشهر من ان تذكر .

وقال في غير هذه المقالة : انه وضع كتابا في الاسطقات ، وهو ابن تسعة عشر سنة . وما كان يضع ذلك الا بعد استكماله تعليم صناعة الطب ، وذلك انه عرف في تفسيره كتاب طبيعة الانسان لبقراط ، وضعه بعد ان وقف على آراء ابقراط ، وفهم ما في كتبه بقراءته اياها على حدائق المعلمين ، فحصل زمان تعلمه الطب ثلاث سنين فلذلك ينبغي (أن) يقتدى به في تعليم هذه الصناعة ، فيتأدب اولاً في الاداب ، ويرتاض في التعاليم ، ثم يقرأ كتب ابقراط ، ويفهم معانيها . لم يكن احدا قبله هذبها تهذيبه .

١٥

فالحاصل من ذلك انه يمكن تعليم صناعة الطب في ثلاث سنين . وقد اشترط ابقراط في تعليمها شروطاً منها ما ذكرته اولاً من حال طبعه للتعليم ، ومنها ان يكون حديث السن ، وهو من كان عمره ما بين سن البلوغ وبين خمس وعشرين سنة ، لان المزاج على هذا السن اعدل منه في سائر الاسنان ، وقوى النفس تابعه لمزاج البدن .

٢٠

وليس يخلو المتعلم لها من احد امرين :

— اما ان يجد معلماً فاضلاً يفهم منه ما في كتب ابقراط فيسرع بذلك تعليمه كما اسرع تعليم جالينوس .

— واما ان يعدم المعلم الحاذق فيحتاج ان يتعلم لنفسه من كتب جالينوس فيطول زمان تعليمه متى استعمل في تعليمه قوازين المنطق .

٢٥

ولأن صناعة الطب صناعة فاعلة لم يمكن تعليمها خلواً من منازلة اعمالها الجزئية ، كما بين ذلك ارسطوطاليس فيما بعد الطبيعة : ان كل صناعة فاعلة انما تحصل وتكمل بمعرفة قوانينها الكلية ، وبمنازلة اعمالها الجزئية .

فاذن : المتعلم لصناعة الطب ، مع قراءته كتب ابقراط ، يلزمه ضرورة ان ينازل بنفسه اعمالها الجزئية . وذلك يتم بمعاينة هذه الاعمال الجزئية بين يدي افضل من تعلم عليه من اهلها . وقد وضع جالينوس لكتبه التي هذب فيها تعليم بقراط ولخصه فهرستاً (٨) ولقرايتها ترتيباً . فالمتعلم يأخذ ذلك مسن جالينوس : واما كتب بقراط

٨ — كتب على الهامش : فكتبت الى رفيقي يحيى بن سعيد في ذلك فجاوبني منه فهرستها .

فلم يقع لي فيما سلف لها فهرست ، ذكر انه ترجمه من اليوناني الى العربي . فقرأته فوجدت الكتب غير مرتبة ، ولم يتفق حصول جمعها عندي فأرتب قراءتها . وذلك انه يعوزني منها نحو اثنا عشر مقالة فرأيت ان أنسخ لي في هذا الموضوع ما وصل الي من فهرستها على ١ ظ هيئته . وهذا هو :

- كتاب التاموس مقاله (٩)
- كتاب الوصية مقالة
- كتاب العهد مقالة
- كتاب الفصول سبع مقالات
- كتاب مقدمة المعرفة ثلاث مقالات
- كتاب قاطيطريون ثلاث مقالات
- كتاب مقدمة الانذار مقالتان
- كتاب مقدمة الانذار المنسوب الى اهل قسـو
- كتاب الامراض ثلاث مقالات
- كتاب تدبير الامراض الحادة و هو كتاب ماء الشعير ثلاث مقالات
- كتاب الغذاء اربع مقالات
- كتاب التدبير ثلاث مقالات
- كتاب استعمال الرطوبات
- كتاب الادوية
- كتاب الحقن
- كتاب ابيذيميا سبع مقالات
- كتاب الاعظم في العلل
- كتاب العلل الباطنة

٩ - لقد نسب الى ابقراط كتب كثيرة ويقول ابن ابي اصيبعة (العيون - ص ٥٣) " والذي انتهى اليها ذكره ووجدنا في كتب ابقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتابا . والذي يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب ، اذا كان درس على اصل صحيح وترتيب جيد ، اثنا عشر كتابا وهي المشهورة من كتبه " .
ولقد وضعت اشارة * الى جانب كل كتاب من هذه الكتب الاثني عشر ، ورد ذكره في قائمة علي بن رضوان

- كتاب المرض الكاهني
 كتاب الاساييع مقالة
 كتاب النفخ مقالة
 * كتاب الاهوية والبلدان والمياه اربع مقالات
 كتاب الطب القديم
 كتاب الصناعة
 كتاب البصر
 * كتاب الاخلاط ثلاث مقالات
 كتاب الورم
 كتاب الجراحات القاتلة
 كتاب خراجات الرأس
 كتاب انتزاع البثور (١٠)
 كتاب البواسير
 كتاب النواصير
 كتاب الكسر والرض
 كتاب المفاصل
 كتاب نهايات الامراض
 * كتاب طبيعة الجنين ثلاث مقالات
 * كتاب طبيعة الانسان ثلاث مقالات
 كتاب المواضع التي في الانسان
 كتاب المولودين لسبعة اشهر
 كتاب المولودين لثمانية اشهر
 كتاب المولودين لتسعة اشهر
 كتاب حبّبل على حبّبل
 * كتاب الكسر (١١)

١٠ - في الاصل : البثور .

١١ - في الاصل : السر . وفي قائمة ابن ابي اصيبعة ورد اسمه "كتاب الكسر والجبر . ويقول هذا (العميون) - ص ٥٥) " ولا يقرط ايضا من الكتب وبعضها منحول اليه . . "

كتاب تقطيع الجنين الميت
 كتاب في الامراض
 كتاب نبات الاسنان
 كتاب العذارى
 كتاب تدبير النساء
 كتاب من يبول الدم
 كتاب علل النساء
 كتاب النساء اللواتي لا يجبلن
 كتاب الجبر
 كتاب السابع
 كتاب البدع
 كتاب اعتقاد اهل اثينا
 فذلك خمس وخمسون كتاباً .

قال علي : وليس هي مرتبة . ويمكن ان ترتب ترتيبين : احدهما يليق باصحاب التجارب (١٢) وهي ان يبدأ بقراءة قاطيطرون ، وتفسيره حانوت الطبيب ، ثم نثفي بعده كتاب الكسر والرض ، ثم كتاب الجبر ، ثم كتاب الخراجات ، ثم سائر الكتب العلمية على ترتيب ما ينبغي ان يقرأه شيئاً بعد شيء .

فاذا فرغت الكتب العملية ، يبدأ بعدها بكتاب طبيعة الانسان . وترتيب القراءة فيها على ما ينبغي .

والترتيب الاخر يليق برأى اصحاب القياس : وهو ان يبدأ بقراءة كتاب طبيعة الانسان ثم يوالي القراءة على ما ذكرت ويحفظ ظاهر كتاب الفصول ، وكتاب مقدمة المعرفة فاذا فرغت كتب علم هذه الصناعة يبديء بقراءة كتاب قاطيطرون وما بعده على حسب ما يوجه العمل .

١٢ - Empiriques . والمعلوم انه كان ثمة ثلاث مدارس طبية يونانية :

اصحاب القياس Dogmatistes - الذين يعتمدون على الملاحظة والمنطق .

واصحاب الحيل Methodistes الذين يعتمدون على مقارعة المرض بآية طريقة كانت اشفاؤه واحدهم

طاليس Thessalus . واصحاب التجارب - الذين كانوا يعتمدون على نتائج التجربة العملية العلاجية .

الباب الثاني

في تعريف ابـقراط (١٣)

ويقال ان معنى هذا الاسم : ماسك الفرس .

قالوا : انه اتفق لرجل كان شديد القوة انه ضرب بيد الواحدة الى رأس او عنق فرس هايج ، وضرب بيد الاخرى الى اصل ذنبه ، فمسكه قائماً لا يقدر يتحرك . فتعجب الناس من شدته وسموه بقراطيس اي ماسك الفرس واشتهر هذا الاسم في اليونانيين ، ف ضرب به المثل لكل من كان من الناس شديد القوة ، الى ان صار اليونانيين يسمون ابناهم كما نحن نسمي ابناثنا اسد وصاعد نحو ذلك الى يومنا هذا .

٢٥

والمشهور هذا الاسم من علماء اليونانيين خمسة رجال : احدهم ذكره ارسطوطاليس (١٤) في المقالة الاولى من السماع الطبيعي ، وفي غيرها اعاد ذكره على انه رجل مهندس ظن انه وجد مربع الدائرة . فان هذه المسألة مختلف فيها الى يومنا هذا بين المهندسين . والاربعة الباقون اطباء ذكرهم جالينوس في تفاسير كتب ابقراط فقال في مقالته في المولود لسبعة اشهر : لقد اختلف المفسرون لكتب الفاضل ابقراط . منهم من قال : ان جميع هذه الكتب وضعها ابقراط واحد ، ومنهم من قال : انها ليست لواحد . وذلك ان القوم الذين كانوا يسمون بهذا الاسم ، اعني ابقراط ، اربعة نفر يتلو بعضهم بعضا واولهم : بقراط ابن اغنوسيديقس والثاني : بقراط بن ايراقليدس ، والثالث : بقراط بن باساكوس (١٥) ، والرابع : بقراط ابو دراقن ولجميعهم كتب .

٣٠

وقال في تفسيره المقالة الثانية من كتاب طبيعة الانسان : بقراط الكبير له ولدان احدهما تاسالس (١٦) ، والاخر دراقن . ولكل منهما ولد سماه بقراط .

قال علي : وعرف جالينوس ذلك في مواضع آخر من كتبه . وقال : ان تاسالس بن بقراط كان من المتقدمين في صناعة الطب . لكنه لم يخلف اباه بقراط في التعليم بمدننته .

٥

١٣ - ويسمى ايضا بقراط ويلقب بالكبير والحكيم والفاضل والالهي وابي الطب توفي حوالي عام ٣٥٧ ق . م .

١٤ - ويكتب ايضا ارسطو فيلسوف يوناني شهير (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) .

١٥ - لعلها - تاسالوس - ١٦ - في الاصل - تاسالوس

لكن صحبَ ارسالوس الملك والذي خلف بقرات في التعليم تلميذه قولوبس ، وذلك ان بقرات بن ايراقليدس كان له جماعة من التلاميذ وولده تاسايس (١٧) ودراقن ، ولم يخلفه في التعليم سوى تلميذ قولوبس ، وذكر ان المقالة الثالثة من كتاب طبيعة الانسان التي هي حفظ الصحة لفولوبس (١٨) ، وان المقالة الثانية من كتاب ابيديميا لتاسالس (١٩) وان قوما نسبوا كتاب المولودين لثمانية اشهر الى فولوبس . وبالجملة فليس ما وضعه هاؤلاي الرجال السبعة الاربعة المسمون ببقرات ، والثلاثة تاسالس (٢٠) ودراقن الى بقرات بن ايراقليدس لان هو الذي خرج له الاسم وكان افضل القوم ، وافضل جميع من كان في عصره ، ومن تقدمه ومن تأخر الى يومنا هذا من الاطباء .

فلذلك سمي بقرات الكبير وشاع اسمه في الدنيا في حياته ، وبعد وفاته الى ابد الابدين ، ما دام الناس موجودين . ولقد بلغ من امره في حياته ان ملك الفرس المسما بملك الملوك ايرطحشت (٢١) بذل (٢٢) له مائة قنطار ذهب ، والهبات العظيمة (٢٣) ، وحرائر فاخرة على ان يسير اليه ويخدمه بالطلب فما فعل ولا اجابه . وبذل له اهل ابيديرا (٢٤) عشر قناطير ذهب على علاج حكيمهم دمقرات (٢٥) لما ظنوا انه يغير عقله ، فرد المال ومن عليهم وسار اليه معهم ، فلما شاهد دمقرات علم انه صحيح ، وانه لما اشتغل بالعلم عن تدبير مدينتهم ظنوا انه قد تغير عقله ، فاعلمهم بقرات انه صحيح وانه آثر الانفراد والخلوة بالنظر والفلسفة والسكون عن تدبير المدينة . وانصرف عنهم الى مدينته قو . ولأبقرات اخبار كثيرة ، وعجائب جدا ، تدل على فضيلة عظيمة ، وشرف عظيم . وانا اثبت وضع بقرات في المعمورة ، ووضع مدن الحكما المشهورين بالحكمة الصحيحة ، فان بطلميوس (٢٦) صحح وضع هذه المدائن في كتابه في صورة المعمورة من الارض فمناها قو مدينة ابقرات : فطولها مد درجة ، وعرضها كسر درجة . واما فرغاس مدينة

١٧ - في الاصل - تاسالس

١٨ - في الاصل - لولوبس

١٩ - في الاصل - لتاسالس

٢٠ - في الاصل - تاسالس

٢١ - في الاصل - اذ طحست والاعلم انه ازديشير والافضل اردشير . وجاء في العيون ان ابقرات كان في عهد "همن بن ازديشير"

٢٢ - في الاصل - ابذل

٢٣ - في الاصل - عظيمة .

٢٤ - جزيرة يونانية صغيرة اشتهر اهلها بخفة العقل .

٢٥ - اوديمقرطيس وهو فيلسوف تلميذ ارسطو وعاش في حدود عام ٤٥٩ ق . م .

٢٦ - ويسمى ايضا بطلماسوس وبطليموس وابطليميوس وبطلموس (٢٨٥ - ٢٤٦ ق . م .) .

جالينوس : فطولها دله وعرضها مآر واما اثينا مدينة الحكماء ، وهي مدينة سقراط (٢٧) و افلاطون (٢٨) : فطولها يب م وعرضها لذلك . فجميع هاؤلاي في الاقليم الرابع وفي النصف الغربي من المعمور قريب من منتهاه الى جهة المشرق المحاور لاشياء وذلك ان الحكمة نقلها من مصر بالس المملطي (٢٩) . وفيثاغورس (٣٠) الى اليونانيين . لانها سافرا الى مصر وتعلما من حكمائها وسارا الى اليونانيين فاطهرا ما تعلماه من اهل مصر . لان مصر كانت في القديم دار الحكمة والعلم ، وهذه الحكاية يشهد بصحتها كتاب التوراة ، وقد كتبها فلاطن وارسطوطاليس في كتبهما . ودونها فرفوربوس وغيره ممن عني يكتب تواريخ الحكماء من القلاسة والاطباء ، وذكر جالينوس في كتبه ان الطب اقتصر عليه اسقليبيوس (٣١) . واسقليبيوس مختلف فيه فطائفة زعمت انه ملكك بعنه الله عز وجل فعلم اهل هذا البحث صناعة الطب فسمي على عادة القدماء في تسمية المعلم ابا للمتعلم . وطائفة زعمت انه رجل اوحى اليه الطب واستخرج هو ايضا من تلقاء نفسه ، واليه تكسب الاطباء في سالف الدهر . وذلك ان الطب كان اولاً بجزيرة رودس (٣٢) اخذه اهلها عن حكماء المصريين ثم انتقل الى اهل هذا البيت بجزيرة قنيدس (٣٣) ، ثم انتقل الى جزيرة قو (٣٤) .

اما جزيرة رودس فطولها عر وعرضها لو ، واما جزيرة قنيدس فطولها لويه وعرضها لو ، واما جزيرة قو فطولها ع مر وعرضها فيما سلف .

وكان الطب في هذا البيت يتعلمه الولد من ابيه وجده فقط ، ولا يمكن غريب تعليمه الى ان نشأ ابقراط بن ايراقليدس المشهور بالفضيلة ، فخاف على الطب ان يبيد ويفسد . فشرط شروطا انت تقف عليها من كتاب الناموس والوصية والعهد على المعلم

٢٧ - ابقراطيس فيلسوف يوناني حكم عليه الموت بالس .

٢٨ - في الاصل - فلاطون . وهو الفيلسوف اليوناني المثالي (٤١٧ - ٣٤٧ ق م) .

٢٩ - بولس الاغنيطي او القوابلي - احد اطباء مدرسة الاسكندرية

٣٠ - Pythagore حكيم يوناني . زار مصر وبابل والشام ، ويعزى اليه تقويم الحساب المعروف بمجدول

فيثاغورس في الضرب . توفي في جزيرة ساموس (حوالي عام ٢٠٠ ق م) .

٣١ - يسمى ايضا اسقليبيوس واسقليبيازيس -

Cos - ٣٤

Cnidus - ٣٣

Rodos - ٣٢

والمتعلم . فمن الزم نفسه تلك الشروط وكانت فيه ، اباحة التعليم ، كان من نسله او من غير نسله . وكان تلميذه فولوبس افضل تلاميذه ولم يزل الطب ينتقل من واحد الى واحد الى ان انتهائه الى جالينوس ، وليس هو من نسل اسقليبوس ، فزيف جالينوس (٣٥) الاقاويل الفاسدة وبهرج الاراء الكاذبة الردية وهذب صناعة الطب فيما وضعه من التفسير لكتب ابقرات ، ومن كتبه وعرف في تفسير وكتب ابقرات الاقاويل المدلسه عليه التي دلستها الناس السوء على انها يسيرة جدا بالقياس الى ما في هذه الاراء الصحيحة التي اخفي فيها ذلك التدليس ، فاذا كان كذلك لا فائدة محددة في كتب غير بقراط وجالينوس سوى الكتب التي نص عليها مثل كتاب ديسقوريدس (٣٦) في الادوية المفردة ، وما سوى لا ينتفع به وضار لا محالة بالمتعلمين . اذ كان لا يمكن علاج مرض حتى يعرف اوقاته الكلية والجزئية فيعطى في كل واحد منها ما ينبغي ، وهذا لا يمكن الا ان يفهم كتاب الفصول ، وكتاب تقدمه المعرفة ، وكتاب البحران ، وحيلة البرء .

واذ قد ذكرنا مدائن الحكماء ، وانا نزيد في تعريف بقراط بمعرفة تاريخه وتاريخ كل واحد من الحكماء المشهورين بالفضيلة فاقول : ان جالينوس يقول في غير موضع من كتبه انه كان على عهد ادريانوس الملك وانه تخصص بخدمة انطونيس وهو الذي ملك بعد وفاة ادريانوس . وقد بلغني في ذلك حكاية حكاها في كتابه المعروف بالادوية (المقابلة) (٣٧) للأدواء نحو ثلثي المقالة الاولى بأن جالينوس اتى لما اتخذت الترياق لانطونيس الملك رأيت اواني عنده مملوه دار صيني (٣٨) بعضها خزن على عهد طراباويوس وبعضها على عهد ادريانوس ، ورأيت جميع اصناف الدار صيني التي جذبتها واحد يفضل كل منها على صاحبه في القوة والضعف والطعم والرائحة بحسب تقادمه في الزمان الاول من

٣٥ - نتغرب مثل هذه الصفات ان ينسبها علي بن رضوان الى جالينوس . لان علي مثل الرازي والكثيرين من الاطباء العرب يتحدثون عن بقراط ولكنهم لا يقرأون ويستشهدون الا بكتب جالينوس . ولقد فسر وشرح ابن رضوان ستة كتب لجالينوس . وخلال كل ما قرأناه من كتب ابن رضوان نجد تلميذا متحمسا جدا له .

٣٦ - ويسمى ايضا دياسقوريدوس ويلقب بصاحب النفس الزكية والسائح والحكيم الحاشاشي والعين زربي عاش في القرن الاول والثاني بعد الميلاد . وله كتاب الحشاش الشهير .

٣٧ - غير مفهومة .
٣٨ - Cinnamomum Zeylanieum وهو نبات يشبه القرفة (انظر احياء التذكرة - رمزي مفتاح) - القاهرة ١٩٥٣ - ص : ٢٩٢ - وكتاب المفردات لابن البيطار (- بولاق - ص ٨٧) .

اصناف الدار صيني فأتخذت منه معجوناً لمقرس الملك المسمى انطونيس فوجدت ذلك المعجون افضل من سائر المعجونات ، حتى ان الملك لما ذاقه لم يدعه مدة من الزمان ، كما يفعل سائر المعاجين الى ان يستحكم (٣٩) ، لكنه استعمله على المكان (٤٠) من غير ان تنزله شهرين . فلما ورث الملك بعد فورمودس الذي لم يكن لا بالترياق ولا بالدار صيني ، ضاع ما كان معي من تلك الشجرة ، وكلما جلب من الدار صيني بعد اندرانوس حتى ان ملكنا سورس امر ان يتخذ له الترياق على ما كان يتخذ لانطونيس ، فاضطرت ان اختار لعمله من الدار صيني ، فبينت من ذلك الترياق بياناً واضحاً انه اضعف على انه ، لم يكن مضى على الدار صيني ثلثون سنة كاملة .

قال علي : وبطلميوس في كتاب المجسطي (٤١) انه رصد ثلاث كسوفات قمرية باسكندرية في عقر ادرانوس الملك ويقول في المقالة الثالثة : ورصدنا نحن ٣ و الاستواء الحرني بغاية الاحتياط والتحرز من الخطأ في السنة الثالثة لانطونيس وهي سنة اربع مائة وثلاثة وستين من وفاة الاسكندر .

قال علي : فجالينوس إذاً معاصر بطلميوس ، وعدت الى جداول سني الملوك فوجدت بين وفاة الاسكندر وبين اول ملك انطونيس الذي اسمه مقرس اربع مائة وستين سنة ، فهذا تاريخ صحيح لا شبهة فيه ، وان ارسطوطاليس معاصر للاسكندر . وان فلاطن معلم ارسطوطاليس ، وان سقراط معلم فلاطن وجالينوس ، يقول بلفظه في اخر المقالة الاولى من تفسيره لكتاب طبيعة الانسان ، لما استشهد فلاطن الفيلاسوف انه اخذ عن بقراط قال فلاطن : كان قريب العهد بتلامذة بقراط ، وفي جداول تاريخ الملوك ملك الفرس المعاصر لافلاطن كان المسمى ارسيس آخوس وبين هذا الملك وبين وفاة ارطخششت الذي كان معاصر بقراط مائة واربع سنين ، فبين اذن ان سقراط لقي (تلميذ) (٤٢) بقراط سماقولوبوس وتعلم منه ، ولذلك القي على فلاطن ما ذكره من كلام ابقراط في طبيعة الانسان واستحسن طريقة ، فسلكتها في معرفة طبيعة النفس ، فاذن بين وفاة ارطخششت الذي كان بقراط معاصره ومن قبل الاسكندر له من الستين مائة

٤٠ - اي - فوراً .

٤٢ - في الاصل - تلاميذ .

٣٩ - اي - حتى ينضج

٤١ - Almagest

واحدى وعشرون سنة الى ان توفي الاسكندر سنة ست عشر سنة ، فجمع ذلك مائة وسبعة وثلاثون سنة ، واذا اضيف اليه ما بين رصد بطلميوس وبين وفاة الاسكندر كان ما بين بقرات وجالينوس من السنين خمس مائة وسبعة وثلاثون سنة . واذا قابلنا ما استخرجنا من هذا الحساب ما ذكره يحيى النحوي في تاريخه وتفسيره كان للادوية المقابلة للادواء ، وجدنا يحيى النحوي (٤٣) يقول : من زمن وفاة بقرات الى ظهور جالينوس ستمائة وخمس وستون سنة وان بقرات عاش خمسة وسبعين سنة ، وجالينوس عاش سبعة وثمانون سنة منها صبيا ومتعلما سبع عشر سنة ، وعالما ومعلما سبعون سنة .

قال علي : فالخلف اذن بين التاريخين سبعة وسبعون سنة فان كان ابقرات توفي في عصر ارطخستت اربعة وعشرون سنة ولذلك ان كان ما ذكره يحيى هو الذي علمناه جالينوس صح قوله وان لم يكن كذلك فقد عرض له سهو في التاريخ اصح واولق ، لانا اخذناه من قبل بطلميوس وجدول تاريخ الملوك وليس في ذلك شبهة ولا شك وهو ان بين جالينوس ، وبين بقرات ستمائة سنة فقط ، واذا حسينا ما بيننا وبين كل واحد منهما وجدنا تاريخ الاسكندر الى وقتنا هذا ، وهو سنة ست وثلاثين واربع للهجرة ، الف وثلاثمائة واثنين وستين سنة تامة زدنا عليها مائة وسبعة وعشرين سنة بين وفاة ارطخستت وبين وفاة الاسكندر فيكون ما بيننا وبين ابقرات الف واربعماية وتسعة وثمانون سنة ، واذا نقصنا من تاريخ الاسكندر الاربعماية والثلاث والستين سنة ، كان بيننا وبين جالينوس تسع مائة سنة بعشرات سنين واحاد لان جالينوس يقول في كتابه في فهرست كتبه ان انطليوس اشخصه معه من بلده اليه وقد جاوز سبعة وثلاثون سنة بمقدار قليل قد يمكن تصحيحه فقد تبين بما ذكرت ان منه هاؤلاي الحكماء .

فلنعرد الان الى غرضنا في هذه المقالة وهو ان نبين كيفية التطرق بالطب الى السعادة .

٤٣ - Jean le Grammairien - احد علماء مدرسة الاسكندرية ، عاصر الفتح العربي . وهو احد الذين شاركوا في انتقاء ووضع الكتب الستة عشر لجالينوس .

الباب الثالث

في التطرق بالطب الى السعادة

قال علي : قد بينا فيما سأت ان صناعة الطب يمكن ان تتعلم في ثلاث سنين ،
وانه لا حاجة بالطبيب الى غير كتب بقراط وجالينوس وكتاب دياسقوريدس ولذلك
اقول : ان التشاغل بغير هذه الكتب كما قال بعض الناس دار حمى للاشقياء المحرومين
المكدودين الذين لهم الى الخير المحض سبيل فيعدوه وقد تبين ان الطبيب يمكنه ان يفعل
الخير ويصطنع المعروف الى الناس في حفظ صحة ابدانهم وشفاء امراضهم حتى
يقوموا الى اشغالهم .

وقد قال جالينوس في آخر المقالة الاولى من حيلة البرء : ونبغي لنا ان ننافس
ونباهي الملائكة في فعل الخير فانه لا شيء اقبح ولا اشنع من ان يقدر على فعل الخير
فيتوانا عنه ويطرحه . وحكا عن اوديسوس في مقالته في تعرف الانسان عيوب نفسه :
يا لك من امر ما اقبحه وازدره ان تعرف الخير ولا تعمل به ، وقال ارسطوطاليس :
ليس التواني عن العناية بالخير شر . وكان الاسكندر يقول : مما اجدته عن معلمي
ارسطوطاليس اني لا اعد ملكي يوماً لم افعل فيه خيراً ولم احسن فيه الى انسان ، وظاهر
ان الطبيب الماهر اذا قصد الاحسان الى الناس فلا بد ان يحصل له منهم ما يكفيه في الضرورة
وزيادة عليه .

قال بقراط : انه ليس في الدنيا شيء يفي باجرة الطبيب اذا كانت الصحة لا
عيش الا بها ، ولا يتم شيء من الافعال الا بها ، والخلاص من المرض اما هو الخلاص
من الموت ، فلذلك لا يفي شيء وان كثر باجرة الطبيب ، لكن اجره على الله عز وجل ،
وما حصل له فينبغي ان يكون على وجه الهدية والصلة ، فاما غير ذلك واذا كان يمكنك
فمن البين ان الطبيب يتوصل الى الكفاية في الضرورى ، والى الاحسان الى الناس وفعل
الخير . ولما اجتمع بقراط مع دمقراط في ابيدرا المدينة ضحك دمقراط ضحكا افراط فيه
فسأله بقراط عن السبب المضحك له فقال دمقراط بهذا اللفظ : اخرجني يا بقراط الى
الضحك طول التعجب مما ارى عليه امور الناس واحوالهم التي انا اشرحها لك لانهم

يفنون اعمارهم فيما لا يعود عليهم بمنفعة زمانهم مما يجب ان يهتروا به ويضحك منه فمنهم من يجول اقطار الارض ويتعب نفسه ويشقيها ويذلتها حرصاً على اقتناء الذهب والفضة فاذا حصل له مات وتركهما ، ولم ينتفع منهما بشيء . ومنهم من يشتري الخيل والدواب والضياع والارضين الواسعة ويعمرها ويغرس فيها الاشجار ويجعلها ملكا خاصا له وهو لا يقدر يملك نفسه ، ما هذا الحرص الفارغ الذي لا فرق بينه وبين الكينون ، اذا افادوا المال زاد واشترى الارضين واذا اشتروها باعوا غلاتها وثمارها وجمعوا مالها . فكم في السرة يتقلبون ، اذا لم يكن لهم ثروة تأسفوا واغتموا ، واذا اثروا سرتوا ما لهم وغطوه ، وخافوا وقوع الحيلة عليهم فيه . ، قد شقيت نجومهم ، وتخطوا نواميس الحق لمحبتهم للمعاملة فبعضهم يعادي بعضا ، وفيهم من يقاتل اخوانه واولاد بيته ، وبني مدينته بسبب اغراض الدنيا التي اذا مات نزلها ولم يكن مالكا لها ، فلم اغزل يا بقراط على ضحككي الا ترى ان السكارى اذا اختلطت عقولهم ، ضحكك عليهم ، والعشاق تضحك منهم وليس بهم من المرض اكثر مما وصفناه . فالرؤساء يقولون الحظ والسعادة للعامة ، والعامة تشتهي الرياسة والمدير للمدينة ان الصانع بايديهم اسعد واحمد عاقبة ، والصناع يغبطون المدير للمدينة .

قال ابقراط : قلت الحق يا ديمقراط واقسم بالله انك لسعيد لما ربحت من هذا السلوان (٤٤) .

قال علي : وقد بينَّ ارسطوطاليس ان السعادة هي الحياة بالعقل وان العمر الطيب (٤٥) اللذيذ هو العمر مع العقل ، اذ ليس احد يختار الحياة وعقله عقل صبي . ومن عقول الصبيان التماس الشهوات البهيمية . وبين ايضا فيما بعد الطبيعة ان التمتع بالشهوات وبلوغ الاماني منها انما هي ادراكات ملذذة . ومن كان حظه من هذه الادراكات و ٤ و الملذذة اكثر ، كان مغبوطا بما له اكثر ولذلك يكون ان من كان اكثر ادراكا للامور العظيمة ، فهو اوفر سعادة واكثر حظا ولذلك صار الحيوان افضل من النبات وذلك انه اكثر ادراكا من قبل انه حيوان حكيم له يدان يبطش بهما وعقل يفكر فيه ويتروى ويتعلم ، ويستعمل الكلام ، والمخاطبات ، ويجد اصناف الاطعمة اللذيذة ، والنبات

٤٤ - في الاصل - السلوان
٤٥ - في الاصل - الطيب .

٥ الرفيعة والنعم الحسنة ، والالوان المتنوعة (٤٦) . ويلتذ بما يشاهد من رؤية السماء بالكواكب ورؤية الارض بالمياه والانهار ، ومطبوع على حب الرياسة وتتوق نفسه الى معرفة اسباب ما يشاهد من الاشياء ومكمل بما ادرك من ذلك . ويتوق غيره بحسب ما يفضل عليه في الادراك ويصير افضل منه ، وهو ممن عرف عنايته الى الريادة في الفهم والمعرفة ، وان كان افضل ممن لم يتزايد يظن ان حظه من امور الدنيا اقل من حظ غيره من على (. . .) (٤٧) بها وذلك لثلاثة اوجه احدها ان فضائل الابدان (٤٨) جياذ للابناء والثاني البحث الحادث عن عطايا النجوم في المواليذ ، والثالث ان يعرض لمن انصرف الى النظر في اللذة بما يدركه من كبر النفس ، ما يشغله عن الاكتساب . والخضوع الى من هو دونه في الفهم . وحل هذا الشك سهل لانه لا يفوته وجود الضرورى والحظوظ مراد للادراكات اللذيذة ، ولا شيء من الادراكات اللذيذة ولا اجل ولا افضل من ادراكات النظر الفلسفي ، وكلما كان ادراك الانسان افضل واسعد على الحقيقة . وافضل الادراكات ووقفها يقينا وصحة هي الادراكات الفلسفية اعني النظر في الحكمة واستعمال العدل والسخاء والعفة في نفقات المال . فاذن : السعادة الانسانية على اليقين والصحة هي التفلسف علما وعملا ولقد رأينا من على ذلك الطبيب اذا انصرف بعض يومه في رياضة بدنه في اعمال الطب وصرف ما في يومه في العمل الصالح والفكر في ملكوت السماوات والارض ، وعبد الله واطاع العقل وذلك ما اردنا بيانه .

تمت مقالة علي بن رضوان في التطرق بالطب الى السعادة . والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين . نقلت ذلك جميعه من نسخة دقيقة الخط الى غاية ما يكون ما يعرف منه اول الحرف من اخر الا بفتح من الله سبحانه وتعالى ، عبارات غريبة بعيدة عن القصد واتخير في اختصارها او اصلاحها ، ولطف الله جل وعلا بحسب ما امكن من القدرة . ونرجو من كرم الله تصحيحها ان شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل . نقل عبید الله سلمان ابن الاسعد المتطبب عفا الله عنهما . في شهور سنة نور عشر وثمان مائة (٤٩) ، احسن الله عاقبتها .

٤٦ - في الاصل - الموقعة ٤٧ - كلمة غير مرقوة ٤٨ - في الاصل - بادخاير . ٤٩ - ١٤١٧ م .